المهمة الصعبة

محمود سالم

المهمة الصعبة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

المهمة الصعبة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٧٠٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
«عثمان» وحده بين العمالقة	١١
معركة ساخنة في كازينو «السمكة»!	١٧
عثمان يذهب إلى المجهول!	٢٣
مع رئيس العصابة وجهًا لوجه	٢٩
الاختيار النهائي لـ «عثمان»	٣٥
وهذه هي المهمة	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

«عثمان» وحده بين العمالقة

نظر «عثمان» إلى نفسه في المرآة، ثم ابتسم ابتسامةً عريضة. كان يلبس فانلة نصف كُمٍّ، وبنطلون «جينز»، وحذاءً خفيفًا، وحول وسطِهِ حزامٌ عريض. في نفس الوقت كانت جيوب البنطلون تحمل كلَّ ما يحتاجه في لحظة الصدام. قفز مرةً أو مرتين أمام المرآة، ثم اتجه إلى النافذة العريضة، وألقى نظرةً على المياه الزرقاء في البحر «الأدرياتيكي».

كان «عثمان» وحده، وكانت هذه أول مرة يقوم فيها بمغامرة بمفرده. هكذا كانت تعليمات رقم «صفر»، بجوار أنَّ المغامرة لا يُمكن أن يقوم بها مجموعة.

تذكَّر «عثمان» لحظة الاجتماع في المقر السِّري، حيث كان الشياطين جميعًا يجلسون في القاعة في انتظار حضور رقم «صفر». لم يكن أحدٌ منهم يعرف طبيعة المغامرة. غير أنَّ الجميع كانوا في انتظار أن يبدءوا المغامرة الجديدة؛ فهم يعتبرون المغامرة نوعًا من الرحلة الممتعة.

في ذلك اليوم، كانت أول جملة قالها رقم «صفر»: إنَّ مغامرتنا الجديدة لن يقوم بها مجموعة كالعادة ... فهي في مرحلتها الأولى تحتاج إلى فرد واحد.

وتذكَّر «عثمان» أنَّ الشياطين قد التقتْ أعينهم لحظتها في دهشة ... إلَّا أنَّ كلمات رقم «صفر» بعدها أزالت دهشتهم، فقد قال رقم «صفر»: إنَّ هناك عصابةً جديدةً ظهرت في إيطاليا، وقد حاول عملاؤنا هناك أن يعرفوا شيئًا عنها، إلَّا أنهم لم يستطيعوا جَمْعَ معلوماتٍ كثيرةٍ؛ فحتى الآن لا نعرف أين مقرها بالضبط. إنَّ كلَّ المعلومات التي لدينا هي أنَّ بعض أفراد العصابة يسهرون في كازينو اسمه كازينو «السمكة»، ويقع في مدينة «أنكونا» على البحر «الأدرياتيكي».

لقد ارتكبت هذه العصابة الجديدة التي تُسمِّي نفسها عصابة «اليد الحديدية» عددًا من الجرائم، كان آخرُها مع بعض الأثرياء العرب الذين ذهبوا في الصيف لقضاء بعض الوقت هناك.

يومها، كما يذكر «عثمان»، كان كلٌّ من الشياطين يتمنَّى أن يكون هو صاحب المغامرة، وقد نظر البعض إلى «أحمد» على أنه سوف يقوم بها، ولأنه يكاد يكون شريكًا في كل المغامرات، إلَّا أنَّ دهشتهم كانت شديدة عندما أعلن رقم «صفر» أنَّ «عثمان» هو الذي سيقوم بالمغامرة. ثمَّ حدَّد الزعيم ما هو مطلوب من «عثمان» بالضبط، يومها قال: إنَّ المطلوب أن يكون «عثمان» واحدًا من أفراد هذه العصابة، فإذا نجح فإنه سوف يضع نهايتَها.

داعب هواءُ الليل وجهَ «عثمان»، فتنفَّس في عمقٍ ... إنَّ عليه الآن أن يُغادرَ فندق «الشاطئ» الذي ينزل فيه، ويذهب إلى كازينو «السمكة» حيث يُمكن أن يلتقيَ هناك بأحدِ أفراد العصابة.

فكَّر «عثمان» وهو لا يزال ينظر إلى مياه البحر «الأدرياتيكي» التي كانت تلمع تحت الأضواء. قال في نفسه: إنني لا أعرف أيَّ أحد من أفراد العصابة. ولم يستطع عملاء رقم «صفر» أن يتوصَّلوا لأي شيء. إنها مهمة صعبة، لكنَّها مثيرة في نفس الوقت؛ لأنني أبدأ من الصفر.

ابتسم «عثمان» مرة أخرى، ثم أغلق النافذة وغادرَ الغرفة مباشرة.

كان فندق «الشاطئ» يقع على شاطئ البحر مباشرة، ولم يكن فندقًا كبيرًا. ولذلك تميَّز بنظافته وبقلَّة عدد النزلاء. كان يملكه ويُديره رجلٌ عجوز يُدعى «براتي». كان رجلًا خفيفَ الظلِّ. ولذلك استطاع «عثمان» أن يَعْقِدَ معه صداقةً سريعةً.

كانت الساعة تقترب من العاشرة عندما ظهر «عثمان» في صالة الفندق. كان العجوز «براتي» يجلس وحيدًا وهو يحتسي كوب الشاي. اقترب منه وألقى تحية المساء، فغطَّت وجه «براتي» ابتسامةٌ طيبةٌ، وقال: إلى أين أيها الصديق الأسمر؟

ابتسم «عثمان» وهو يقول: سوف أتجوَّل في المدينة قليلًا، وربما سهرتُ بعض الوقت.

قال «براتي»: لن تجد في المدينة شيئًا في هذه الساعة؛ فالناس هنا ينامون مُبكِّرين ليستيقظوا مُبكِّرين أيضًا.

صمت «براتي» لحظةً ثم أضاف: ربما تجدُ سهرةً طيبةً في كازينو «السمكة» القريب، ولو أنَّ بعضَ الرجال يُثيرون الشغب في بعض الليالي!

ابتسم «عثمان» وقال: لن أبقى هناك طويلًا، إنني فقط أريد أن أعرف مكانَه.

قال «براتي»: هل أنتظرك حتى تعود؟

ردَّ «عثمان»: لا داعي ... فمعي مفتاح الباب الخارجي.

تمنَّى «عثمان» لـ «براتي» نومًا هادئًا، وتمنَّى «براتي» لـ «عثمان» سهرةً طيِّبةً. بعدها غادر «عثمان» الفندقَ، وعندما أغلق الباب خلفه كان الهواء القادم من البحر مُنعِشًا تمامًا، حتى إنه شعر بنشاطٍ مفاجئ. ألقى نظره في اتجاه الكازينو الذي لم يكن يبعُد كثيرًا، وتمنَّى لو أنَّ الشياطين معه في هذا المكان الهادئ الجميل.

قطع «عثمان» المسافةَ القليلةَ إلى كازينو «السمكة» في هدوء. وعندما اقترب وصل إلى سمعه موسيقى صاخبة. قال في نفسه: إنها صاخبة كالذين يسهرون معها.

اقترب من باب الكازينو المُغلَق، ودقَّ الجرس، فانفتحت طاقةٌ صغيرة، ظهر منها وجه الحارس الذي قال: ماذا تريد؟

ردَّ «عثمان»: أريد أن أدخل.

سأل الحارس: ماذا تعمل؟

ردَّ «عثمان»: إنني سائح.

علَتْ وجهَ الحارسِ ابتسامةٌ عريضةٌ، ثم فتح الباب، تقدَّم «عثمان»، فأغلق الحارس الباب مرةً أخرى، ارتفع صوت الموسيقى الصاخبة أكثر حتى إنَّ أحدًا لا يستطيع أن يسمع شيئًا غيرها. مشى في رَدْهةٍ طويلةٍ يسبقُه الحارس. كانت الرَّدْهةُ ضعيفةَ الإضاءة، لكنَّه استطاع أن يلمح بابًا جانبيًّا على يمينه. كانت عيناه تحاولان رصدَ كلِّ شيء. فمن يدري ... قد يحتاج إليه بعد ذلك ... وقف الحارس ثم فتح بابًا، فانساب الضوء وكأنه عمود من النور يغرق في الدخان. وارتفع صوت الموسيقى بطريقة غريبة. ومعها كان ارتفاع الضحكات.

خطا «عثمان» خطوةً إلى الداخل، لكن المفاجأة كانت غريبة، فقد غطَّتْ وجهَه قطعةُ كِريمة ضخمة جعلته لا يرى شيئًا.

لا يدري «عثمان» لماذا أخفى ابتسامته في هذه اللحظة السريعة؛ فقد تذكَّر بعضَ الأفلام الكوميدية التي يشاهدها ... والمطاردات بالكِريمة والجاتوه. وتذكَّر «شارلي شابلن» في بعض أفلامه، لكنَّه عاد إلى نفسه بسرعة، فقد انفجرت ضحكات عالية. فعرف أن منظره الآن يُثير الضحكَ؛ فالكِريمة البيضاء تُغطِّي وجهَه الأسمر. رفع يده بسرعة، وأزاح الكِريمة التي كانت مُثلجةً عن عينيه، كانت كلُّ الأصابع تشير في اتجاهه، والضحكات لا تنقطع.

ووسط الضجيج سمِعَ من يقول: لقد كانت رميةً صائبةً يا «جاكو»!

فهم «عثمان» بسرعة أن من رمى الكِريمةَ يُدعى «جاكو». تجوَّل بعينيه بين الجميع. كان هناك شابٌّ مفتولُ العضلات يقفُ في غير اكتراثٍ وقد وضع يديه في وسطه، بينما البعض حوله، فيبدو وكأنه زعيم. لا يدري «عثمان» لماذا أحسَّ أن هذا هو «جاكو»، وأنَّ عليه ألَّا يُضيِّعَ الفرصة.

كان وجه «عثمان» مثيرًا للضحك فعلًا، فقد كان وجهه الأسمر مُختفيًا تحت طبقة الكِريمة، ولا تظهر سوى عينيه اللامعتين …

اقترب منه أحد الرجال ضاحكًا يقول: أنت لذيذ بالكِريمة!

في لحظةٍ كان «عثمان» قد جمع الكِريمة بكلتا يديه من فوق وجهه، ثم غطَّى بها وجهَ الرجل، عندئذٍ ضحِكَ الحاضرون، في نفس اللحظة تحرَّك فيها الشابُّ المفتولُ العضلات من مكانه، وفكَّر «عثمان» بسرعة واستعد. ارتفع صوتٌ من خلف الشاب يقول: دعه يا «جاكو»، سوف أقوم أنا بتأديبه!

تأكَّد «عثمان» أنَّ الشابَّ هو «جاكو»، خصوصًا عندما رفَعَ «جاكو» يدَه مُشيرًا بأنه هو الذي سوف يقوم بالمهمة. اقترب «جاكو» أكثر، كانت السخرية تملأ نظراتِه وهو يقترب. وقف في النهاية أمام «عثمان» ونظر لحظة، ثم ابتسم ابتسامةً صغيرةً وهو يقول: معذرةً، لكنك أخطأتَ عندما دخلت في تلك اللحظة!

ومع نهاية كلماته، كانت يدُه تنطلق لتسدِّدَ ضربةً إلى «عثمان»، إلَّا أنَّ «عثمان» كان يقِظًا تمامًا؛ فقد استطاع أن يتفادى الضربة ليُسدِّد ضربةً قويةً إلى «جاكو» جعلتْه ينحني، فعاجله «عثمان» بضربة أخرى. كانت الضربات سريعةً ومتلاحقةً، حتى إنَّ «جاكو» لم يتمكَّن من صدِّ الهجمات المتتالية.

وبدأ «جاكو» يتراجع إلى الخلف من تأثير ضربة «عثمان» الأخيرة … لكنَّ «عثمان» لم يُعطِه الفرصة، فقد تابعه، وضربه ضربةً قويةً جعلته يتراجع مندفعًا، حتى اصطدم بالحائط.

فجأة شعر «عثمان» أن ثقلًا هائلًا قد سَقَطَ فوقه، ودون أن ينظر كان قد أيقنَ أن أحدَ رجال «جاكو» قد دخل المعركة.

وكان «عثمان» قد سقط على الأرض، لكنَّه استعاد وقوفه بسرعة، غير أنَّ ضربةً قويةً جعلته يترنَّح. أعطى نفسه فرصةً للتراجع إلى الخلف مسافةً كافيةً تجعله بعيدًا عن العملاق الذي استطاع أن يراه لأول مرة، وقبل أن يتحرَّك العملاق من مكانه كان «عثمان»

قد طار في الهواء وضربه ضربتين متتاليتين جعلتاه لا يستطيع التصرُّف، ثم طار في الهواء كأروع لاعب كاراتيه وضربه ضربةً جعلته يترنَّح.

كانت فرصة «عثمان» في أن يُلاحقه بالضربات؛ حتى لا يستعيدَ توازنه وحتى لا يملك لحظةً للتفكير. طار «عثمان» في الهواء كسهمٍ مندفعٍ، ثم اصطدم بالعملاق في صدره، فتراجع بقوة حتى اصطدم ببعض الرجال، فوقع بهم على الأرض.

كانت الصالة في كازينو «السمكة» قد تحوَّلتْ إلى حلبةٍ للصراع، غير أنَّ أحدًا لم يشترك غير «جاكو» والعملاق.

كان الجميع يشاهدون ما يحدث. وقد توقَّفت الموسيقى، ولم تكن هناك أصواتٌ غير أصوات المعركة الشرسة التي كان أحد أطرافها «عثمان». وقف ينظر إلى الجميع وقد تحفَّز الآن أكثر ... ألقى نظرةً سريعةً في اتجاه «جاكو»، كان أحد الرجال يحاول إفاقته. أمَّا العملاق فلم يتحرَّكْ من مكانه، وكان الجميع يراقبونه وهو مُلقًى على الأرض وكأنه ثور.

كان الصمت يسود المكان، وكان «عثمان» قد أسند ظهره إلى الحائط حتى لا يفاجئه أحد من الخلف ... في نفس الوقت، كان يفكِّر في استخدام قنابل الدخان الصغيرة لكنَّه لم يفعل؛ فقد رأى في وجوه الجميع إعجابًا به.

لكن اللحظة التالية كانت مفاجأةً لم يتوقَّعها.

معركة ساخنة في كازينو «السمكة»!

فُتحتْ طاقةٌ صغيرةٌ في الجدار المقابل له، وظهرت فُوَّهةُ مسدس. تعلَّقت عينا «عثمان» بالطلقة، وانتظر. إنَّ المسدسَ الذي ظهر الآن لا بُدَّ أنه سيُطلِق طلقةً تكون فيها نهايته.

فكَّر بسرعة: هل يَستخدم قنابل الدخان؟ أم يستخدم مسدسه، وهو يستطيع ذلك في لمح البصر؟ أو ينتظر ليرى ماذا سيحدث؟

قرَّر في النهاية أن ينتظر، لكنَّه في نفس الوقت كان يقِظًا تمامًا حتى لا يُفاجَأ بالطلقة ... في نفس اللحظة تحرَّك «جاكو» من مكانه بعد أن أفاق. مسح وجهه بمنديل، ثم ألقاه بعيدًا. كانت عيناه حادَّتَين، وكان ينظر إلى «عثمان» في قسوةٍ. تقدَّم خطوةً أو خطوتين، ثم توقَّف. كان جميع الموجودين في صالة الكازينو يراقبون ما سوف يحدث ...

فكَّر «عثمان»: هل رأى أحد من الموجودين فُوَّهةَ المسدس عندما ظهرت في الطاقة، فلقد شغلتهم المعركة جميعًا، أو إنَّ هذه مسألة عادية ... لكنَّه لم يستطع أن يحدِّد بالضبط.

تحرَّك «جاكو» من جديد، ثم فجأة صرخ صرخة وحشية، وطار في الهواء في اتجاه «عثمان». تحفَّز «عثمان» في انتظار أن يصل إليه ... لكنَّ ضوءَ الطلقةِ لمع في الطاقة وسقط «جاكو» بعدها كالعُصفور.

راقب «عثمان» ذلك في دهشة، وقال في نفسه: ربما يكون كازينو «السمكة» أحد أوكار العصابة!

لم يتحرَّك أحدٌ من الموجودين. فجأة، فُتح الباب، وظهر رجل أشيب، نحيل القوام، تظهر على وجهه ابتسامة هادئة. صفَّق بيديه، فعادت الحياةُ إلى الصالة من جديد ... ثم غرقت في الموسيقى وبدأ الساهرون يصخبون، وكأنهم عرائس تُحرِّكها خيوط.

في لحظة تقدَّم اثنان وحملا «جاكو» واختفيا به. شَعَرَ «عثمان» أنَّ ذهنَه يكاد يتوقَّف ... فهو لم يكن يتوقَّع أبدًا هذه الأحداث. عندئذٍ اقتربَ الرجل منه، ثم مدَّ يده يصافحه، وقد ظلَّت الابتسامة الهادئة تُغطِّي وجهه. اضطُرَّ «عثمان» أن يبتسم ومدَّ يده ليُصافح الرجل، إلَّا أنَّ ضحكةً رنَّت في الصالة جعلت «عثمان» يتوقَّع شيئًا، ولذلك شدَّ قبضة الرجل في قوة، حتى إنَّ ابتسامة الرجل اتسعت حتى غطَّت وجهه. في نفس الوقت، اتجهت عينا الرجل إلى مصدر الضحكة التي اختفت في لحظتها ...

قال الرجل في هدوء: دعني أدعوك إلى شراب مُثلج!

ردَّ «عثمان» يشكره رافضًا، فقال الرجل: إني أودُّ التحدثَ معك!

فكَّر «عثمان» بسرعة: ربما يكون الرجل أحدَ المهمين في العصابة، وتكون هذه فرصة جيدة.

نظر «عثمان» إلى الرجل لحظةً، ثم قال: اسمي «لو» من جنوب أفريقيا.

قال الرجل: أهلًا بك، يمكن أن تدعوَني «توب».

تصافحا مرةً أخرى، وقال «توب»: هل تقبل دعوتي لنشرب مشروبًا مثلجًا؟

ردَّ «عثمان»: نعم!

تحرَّك الرجل إلى منضدة بعيدة حولها عدد من المقاعد، وعندما وصل إليها جذَبَ مَقْعَدًا، ثم جلس. فعل «عثمان» نفس الشيء. نظر «توب» إلى الجرسون، فاقترب مسرعًا. طلب «عثمان» عصيرًا طازَجًا، وطلب «توب» قهوة. وعندما اختفى الجرسون قال «توب»: ماذا تفعل هنا يا عزيزي «لو»؟

ردَّ «عثمان»: أبحث عن عمل.

قال «توب»: وماذا تعمل؟

ردَّ «عثمان»: لقد كنت ملاكمًا، وعملت بعض الوقت في الميناء.

ابتسم الرجل وهو يقول: ماذا كنت تعمل؟

نظر له «عثمان» لحظة، ثم قال: حمَّالًا.

رفع الرجل حاجبيه في دهشة، ثم سأل: ولماذا لم تفكِّر في احتراف الملاكمة؟ إنَّك تُجيدها تمامًا!

ابتسم «عثمان» وقال: لا أظنُّ أنني أفكِّر في ذلك. إنني فقط أريد أن أعمل.

هزَّ الرجل رأسه، ثم قال: يمكن أن تجدَ عملًا هنا سريعًا.

سكت «توب» لحظة، ثم أضاف: أين تقيم؟

ردَّ «عثمان»: في فندق «الشاطئ».

اقترب الجرسون، فوضع العصير أمام «عثمان»، والقهوة أمام «توب»، ثم انصرف. رشف الرجل رشفة قهوة، ثم قال: ومتى تريد أن تعمل؟

ابتسم «عثمان» وقال: من الآن!

نظر له «توب» لحظةً ثم ضحِكَ ضحكةً مفاجئةً جعلت «عثمان» يؤخذ للحظة، ثم يبتسم ابتسامة عريضة، وكأنَّ الضحكةَ كانت شفرة، فقبل أن تختفيَ ضحكة «توب» كان «عثمان» والمقعد الذي يجلس فوقه قد أصبحا في نهاية الصالة، حتى اصطدم المقعد بالحائط، غير أن «عثمان» كان قد أدرك كلَّ شيء بسرعة، فاستطاع أن يحتفظَ بتوازنه، ولم يسقط على الأرض ... نظر له «توب» من بعيد، وكانت الموسيقى قد توقَّفت، ثم قال: أنت رائع يا سيد «لو»، فدعني أهنِّئك!

اقترب «توب» من «عثمان» لكنَّه لم يقِفْ، فقد ظلَّ جالسًا فوق المقعد. ضحك «توب» ضحكةً عالية أخرى، وأضاف: أنت شديد الذكاء يا صديقي «لو»!

فهم «عثمان» ما يعنيه «توب» لأنه لو وقف لكان قد لقيَ حركةً مفاجئة من «توب» ... وبقاؤه فوق المقعد لا يُعطي «توب» هذه الفرصة.

قال «توب»: يبدو يا «لو» ... أننا سوف نتفق سريعًا.

ظلَّ «عثمان» فوق مَقْعَده، حتى أصبح «توب» بعيدًا عنه. عندما عاد إلى مكانه وجلس، قال «توب»: إنني أعتذر لك، فلقد كان من الضروري أن أُجريَ معك اختبارًا قبل أن يُصبحَ اتفاقًا نهائيًّا!

كان «عثمان» ينظر إليه بابتسامة صغيرة، فقال «توب»: هيَّا اشرب عصيرك حتى تخرج.

سأل «عثمان» بهدوء: إلى أين؟

ابتسم «توب» وأجاب: منذ الآن، ثق بي تمامًا. إنني في حاجة إليك، وسوف تجد كلَّ ما تريد.

رفع «عثمان» كوب العصير، ثم شربه دفعةً واحدةً. وبرغم أنه لا يفعل ذلك أبدًا، إلَّا أنَّه قصد ذلك أمام «توب» حتى يعطيَ لنفسه صورة مخالفة.

وقف «توب» وهو يُلقي بقية كوب القهوة في فمه، ثم أخذ طريقه إلى الخارج فتبعه «عثمان».

كانت الأحداث تجري بسرعة، فلم يكن «عثمان» يتوقَّع كلَّ ما حدث، وهو الآن يمشي بجوار «توب»، لا يدري ماذا يُمكن أن يحدث له. كان هواء الليل مُنْعِشًا تمامًا، وأمواج البحر تضرب الرصيف في رقة.

قال «توب» بعد لحظة: متى تنوي العودة إلى بلدك يا «لو»؟

أجاب «عثمان» بسرعة: لا أظن أنني أفكِّر في ذلك الآن، وقد أفكر فيه مستقبلًا.

ظلَّا يسيران في صمت، ولم يكن يسمع إلَّا صوتَ ارتطام موج البحر بالرصيف. كان «عثمان» يقظًا تمامًا، فهو يخشى أيَّ حركةٍ مفاجئة يُمكن أن تحدث ... لقد كان يُفكِّر: هل تصرُّفي سليم في الخروج مع هذا الرجل الذي لا أعرفه، في بلد لا أعرفه، خصوصًا بعد ما حدث؟ وهل يكون «توب» هو الهدف الذي أسعى إليه؟ وهل يمكن أن أنضمَّ للعصابة بهذه السرعة؟!

قطع «توب» أفكار «عثمان» وهو ينظر إليه قائلًا: ينبغي أن نعود الآن، وأن نذهب إلى فندقك مباشرة، وسوف يكون لنا لقاءٌ على الغداء.

نظر له «عثمان» لحظة، ثم قال: أين؟

قال «توب»: سوف تصلك رسالةٌ أُخبرك فيها بالمكان.

لم يردَّ «عثمان»، ولم يتحدَّث «توب» بعد هذه الجملة، وعادا في خطواتٍ هادئة، وعندما اقتربا من الفندق شدَّ «توب» على يد «عثمان» في قوة، ثم قال مبتسمًا: إلى اللقاء غدًا!

ردَّ «عثمان»: إلى اللقاء!

اتجه «عثمان» إلى الفندق. واتجه «توب» إلى الكازينو ... فتح «عثمان» الباب ثم دخل، كان «براتي» لا يزال مُستيقِظًا. ألقى عليه «عثمان» التحية وهو يقترب منه مبتسمًا: لقد سهرت الليلة يا سيد «براتي»!

قال «براتي»: وأنت عدت مبكرًا يا سيد «لو»!

جلس «عثمان» بجوار «براتي» الذي قال وهو ينظر إليه: تبدو وكأنك خرجت من معركة قريبة!

ابتسم «عثمان» وهو يقول: هذا صحيح!

ظهر الانزعاج على وجه «براتي» العجوز وهو يقول: لقد حذَّرْتُك من رُوَّاد كازينو «السمكة»؛ فهم يُثيرون المتاعب دائمًا!

ابتسم «عثمان» وقال: لقد كانت معركةً جيدةً!

تساءل «براتي»: لعلك انتصرت!

هزَّ «عثمان» رأسه وهو يقول: نعم، انتصرتُ انتصارًا عظيمًا!

أسرع «براتي» يقول بفرح وهو يعتدل في جلسته: إذن، صِفْ لي ما حدث بالضبط.

ثم أكمل بسرعة: لا تحكِ لي الحكاية بسرعة، يجب أن تحكيَها بالتفصيل، إنَّ ذلك يُذكِّرُني بأيام شبابي؛ فقد كنت أهوى المعارك الشخصية.

ضحك «براتي» ضحكةً صافيةً وهو يقول: لقد كنت أتشاجر كلَّ ليلةٍ تقريبًا، وأنتصر في كل مرة.

ابتسم «عثمان» وهو يقول: ألم تخسر معركة واحدة؟

ضحك «براتي» وقال: ربما مرة أو مرتين، لكني بشكل عام كنت أنتصر.

سكت لحظة، ثم قال هيَّا ... احكِ لي بالتفصيل منذ خرجت من باب الفندق وحتى عدت الآن! ضحك «عثمان» ضحكة خافتة، ثم أخذ يحكي لـ «براتي» بعض تفاصيل المعارك التي خاضها، كان «براتي» سعيدًا وهو يستمع، وأخيرًا قال: إنني سعيد بك تمامًا، لأنك تعتمد على نفسك.

كان الليل قد تقدَّم، فاستأذن «عثمان»، وأخذ طريقَه إلى غرفته، فقد كان وراءه عمل آخر ...

عثمان يذهب إلى المجهول!

عندما أغلق «عثمان» باب غرفته، أسرع إلى جهاز الإرسال وأرسل رسالةً سريعةً إلى رقم «صفر»، انتظرَ قليلًا، فجاءه الردُّ في رسالةٍ شفريةٍ قصيرة ...

كانت الرسالة تقول: ««٣٠–٤٠» وقفة «٢–٨٠–٣٠» وقفة «١٨–٨–٢٣» وقفة «٤–١٠–٥٠–٦٠» وقفة «١٤–١٨–٢–٥٠–٧٠» وقفة «٦–٢–٤–٢٣–١٠–٢٨–٥٠» انتهى.»

ما إن انتهى من قراءة الرسالة حتى ألقى نفسه على السرير، وراح في النوم.

لكنَّه كالعادة استيقظ مُبكرًا. أجرى بعض تمارين الصباح، ثم أخذ دُشًّا باردًا جعله أكثر نشاطًا. كان هواء البحر يأتي من خلال النافذة التي فتحها عندما غادر السرير ... وكانت له رائحة خاصة أقرب إلى رائحة السمك. بدَّل ثيابه، ثم جلس ينظر إلى البحر الأزرق الممتد إلى ما لا نهاية.

أخذ يتذكَّر ما حدث أمس، فابتسم راضيًا.

قال في نفسه: سوف يكون الشياطين سعداء تمامًا عندما أحكي لهم ما حدث. بل إنَّهم يتمنَّوْن أن يكونوا شركائي في هذه الليلة.

نظر «عثمان» في ساعة يده، ثم قال لنفسه: ينبغي أن آخذ فطوري في مطعم الفندق، وسوف يسعد بذلك «براتي» العجوز. وفي لحظة، كان يغادر الغرفة، وبينما كان ينزل السلالم القليلة إلى مطعم الفندق تذكَّر أنَّ الرِّسالة التي تحدَّث عنها رقم «صفر» لم تصل. قال في نفسه: لا بأس، أستطيع أن أتلقَّاها في أي وقت، فمعي الجهاز الصغير.

استمرَّ «عثمان» في نزوله. فجأة ... شعر بدفء الجهاز، فعرف أنَّ رسالة رقم «صفر» في الطريق. لم يعد إلى الغرفة، وأخذ طريقه إلى المطعم. كان الجهاز في هذه اللحظة يستقبل الرسالة ويسجِّلها ... رأى «عثمان» «براتي» من أقصى المطعم، فرفع يده له بالتحية.

اقترب «براتي» مسرعًا، وعندما أصبح أمام «عثمان» قال: صباح سعيد يا صديقي البطل «لو»!

ابتسم «عثمان» وقال: صباح سعيد يا سيد «براتي»!

داعب «براتي» وهو يضيف: أيها البطل القديم!

ضحك «براتي» في طيبة، فلم يكن أحد في المطعم في هذه الساعة.

قال «براتي»: عليك أن تجلس، ودعني أُجهِّز لك الإفطار بنفسي.

نظر له «عثمان» في ودٍّ وهو يقول: دعني أشكرك أولًا، ثم دعني أُعدُّ فطوري بنفسي كالعادة ...

قال «براتي» مبتسمًا: ولكني أريد أن أحتفل بك.

ضحك «عثمان» وهو يقول: إنك بذلك سوف تضع نظامًا جديدًا، فسوف أعتمد عليك، وليس هذا نظام الفندق.

استغرق «براتي» في الضحك، ثم قال: اليوم فقط، وربما مع كل انتصار تحقِّقه.

ضحك «عثمان» وقال: إذن، لا بأس، ما دام اليوم فقط!

انصرف «براتي» مسرعًا، فأخذ «عثمان» يرقبه مبتسمًا. جلس إلى منضدة صغيرة. كان المكان هادئًا تمامًا، ويبدو أن النزلاء قد انصرفوا مُبكِّرين ...

شرد «عثمان» يُفكِّر: ماذا يمكن أن يحدث اليوم في هذه الدعوة إلى الغداء مع «توب»؟ ماذا يكون بعدها؟ وهل سوف ينجح في مغامرته الجديدة؟

عاد «براتي» يحمل صينية متوسطة فوقها إفطار جيد. وابتسم قائلًا: ليس هذا إفطار كل يوم، إنه فقط بمناسبة الاحتفال بك.

شكره «عثمان»، فانصرف «براتي» مباشرة، ثم استغرق في عمله. بدأ «عثمان» يصبُّ الشاي ... لكن يده توقَّفت؛ فقد ظهر في الباب رجل ضخم الجثة، وقف ينظر إلى «عثمان» لحظةً، ثم اقترب منه، وقال في غلظة: هل أنت السيد «لو»؟

ردَّ «عثمان»: نعم!

قال الرجل: السيد «توب» ينتظرك على الغداء في مطعم «الصدفة».

هزَّ «عثمان» رأسَه، وقال: سوف أكون هناك، هل أدعوك لفنجان شاي؟

ردَّ الرجل: ليس الآن؛ فيجب أن أعود بالرد للسيد «توب».

ثم انصرف مباشرة. ظلَّ «عثمان» يراقبه حتى خرج في نفس اللحظة التي اقترب فيها «براتي» متسائلًا: هل كان يريد شيئًا؟

ردَّ «عثمان»: لا شيء.

هزَّ «براتي» رأسه ثم انصرف. أخذ «عثمان» يتناول إفطاره في هدوء. تذكَّر فجأةً رسالة رقم «صفر». أخرج الجهاز الدقيق ووضعه أمامه، ثم ضغط زرًّا فيه. بدأت الرسالة الشفرية تتردَّد في خفوت لا يسمعه سوى «عثمان». وعندما انتهت الرسالة ابتسم «عثمان» وهو يقول: ولكم التحية أيضًا!

ثم أعاد الجهاز إلى جيبه ... أنهى «عثمان» إفطاره، فحمل الصينية لإعادتها، إلَّا أنَّ «براتي» كان أسرع منه، فقد أتى مسرعًا وهو يقول: إنَّ البطل لا ينبغي أن يفعل شيئًا اليوم.

أمسك «براتي» الصينية من «عثمان» وقال: ماذا تريد أن تأكل في غداء اليوم؟ سوف أُعِدُّ لك وليمة خاصة.

ضحك «عثمان» وقال: سوف أتناول غدائي مع أحد الأصدقاء.

اتسعت عينا «براتي» وهو يقول: بالتأكيد، إنَّ معركة الأمس جعلت لك أصدقاء في «أنكونا».

ابتسم «عثمان» وهو يقول: أرجو أن يكونوا كذلك!

حيَّا «براتي» ثم انصرف. عندما خرج من باب الفندق، وقف لحظة. كانت الشمس دافئةً وحركة المكان نشيطة ... قال في نفسه: سوف أتجوَّل في المدينة ... حتى يأتيَ موعدُ «توب».

ثم تحرَّك من مكانه ليغرق في حركة المدينة. كانت مدينة «أنكونا» ككلِّ المدن الساحلية. إنها لا تكاد تفترق عن الإسكندرية أو بورسعيد في مصر، أو طنجة في المغرب، أو أي مدينة ساحلية أخرى، فكلها تأخذ شخصية واحدة، وإن اختلفت بعضُ التفاصيل ...

أخذ طريقه إلى المنطقة التجارية في المدينة ... كانت مزدحمةً بالناس من كلِّ شكل ولون. أهالي المدينة ... والسياح، أمريكيُّون، وأفارقة، وفَرَنْسيُّون، وإنجليز ... وعرب أيضًا. ورغم أنه شعر بالرغبة في أن يتحدَّث إلى أحد العرب، إلَّا أنَّه لم يفعل. كان يخشى أن يكون هدفًا، أو أن يكون مراقَبًا. توقَّفت أفكارُه عندما تردَّدت في فكره كلمة «مراقَبًا».

قال في نفسه: من الممكن جدًّا أن يكون «توب» قد أرسل من يراقبه، فحتى الآن تبدو تصرُّفات «توب» غامضةً، فهو لم يتحدَّث عن طبيعة العمل الذي سوف يُسنده إليه ... بجوار ما حدث أمس في كازينو «السمكة»، وكيف قضى على «جاكو»، كما أنَّ هناك كثيرين يأتمرون بأمره. هذه التفاصيل كلها تقول إنَّ خلفَ «توب» أشياءَ غير عادية.

وقف «عثمان» أمام أحد محلات الملابس وأخذ ينتقي بعضها ... لكنَّه في النهاية لم يشترِ شيئًا. اقترب منه أحد الرجال مبتسمًا وهو يقول: إنها صناعة محلية، وهي من القطن المصري.

نظر له «عثمان» مبتسمًا، ثم أمسك كُمَّ الفانلة التي يلبسها وقال: وهذه أيضًا من القطن المصري.

هزَّ الرجل رأسه وهو يقول: ولهذا تبدو أنيقة تمامًا.

سكت لحظة، ثم قال: هل أنت مصري؟

ردَّ «عثمان»: أفريقي.

هزَّ الرجل رأسه وانشغل في مشاهدة الملابس المعروضة. تحرَّك «عثمان» مبتعدًا، لكنَّه أحسَّ أنَّ الرجل قد تحرَّك أيضًا خلفه. لم يتوقَّف، بل استمرَّ في طريقه. ثم انتقل إلى الرصيف الآخر. وعندما وجد منطقة عبور المشاة، اتجه مباشرة إلى مقهًى صغير وجلس. في نفس اللحظة، وقعت عيناه على الرجل، كان يمشي مُتمهِّلًا على الرصيف الآخر. قال في نفسه: لعلها مصادفة. أتى الجرسون فطلب شايًا. ظلَّ يراقب الرجل الذي كان يتلكَّأ في خطواته. ابتسم وقال في نفسه: إنه ليس ذكيًّا بما يكفي.

جاءه الشاي. فكَّر: قد أكون مُخطئًا أو متوهِّمًا.

شرب قليلًا من الشاي، ثم قال لنفسه: من المؤكَّد أنَّ «براتي» لا يمكن أن يتفق معه على عمل بهذه السرعة، ومن المؤكَّد أنَّه يخضع الآن لاختبارات لا يدريها.

رفع «عثمان» كوب الشاي، وأخذ يشرب. فجأة، اختفى الرجل من على الرصيف المقابل. ابتسم «عثمان» وقال في نفسه: لقد ظلمت الرجل!

أخذ يرقب حركة الشارع، كان المقهى مزدحمًا. قال في نفسه: كعادة المدن الساحلية تكثر المقاهي، وتكثر الزبائن!

وعندما انتهى «عثمان» من شُرب الشاي دفع ثمنه، ثم انصرف. كان يفكِّر: ماذا يمكن أن يفعل الآن؟ هل يظل يمشي في المدينة بلا هدف؟ إنه يريد أن يحتفظ بقواه كاملةً استعدادًا لأيِّ شيء. ولهذا عاد «عثمان» من نفس الطريق إلى حيث يوجد فندق «الشاطئ»، وحيث لا يبعد مطعم «الصدفة» كثيرًا. كان الجوُّ مُمتِعًا. نَظَرَ في ساعة يده، كان الموعد لا يزال مبكرًا ... وأمامه ثلاثُ ساعاتٍ على الأقل. فكَّر: هل يعود إلى الفندق؟ لمعت في خاطره فكرة: إنه يستطيع أن يلعبَ مباراة شِطْرنج مع «أحمد» الآن، حتى تنقضيَ هذه الساعات. أسرع إلى الفندق، لكن فجأة اقترب منه شاب متوسط العمر، وقف أمامه مباشرة، وقال: السيد «توب» يُريدك الآن.

نظر له «عثمان» لحظة وقال: أين هو؟

لم يكد ينتهي من جملته حتى اقتربت سيارة «فيات»، ثم توقَّفت بجوارهما، فتح الشابُّ الباب، وقال: هيَّا.

فكَّر «عثمان» بسرعة: هل هو نوع من الاختبار، أو إنَّه سوف يلقى شيئًا لا يتوقَّعه؟! لكنَّه مع ذلك لم يتردَّد، فركب السيارة مباشرة. انطلقت السيارة التي لم يكن بها سوى الشاب والسائق. كان «عثمان» يرقب الطريق جيدًا، حتى يعرف إلى أين يأخذانه. أخفى ابتسامة ... فقد تذكَّر المباراة التي كان سيلعبها مع «أحمد» عن طريق جهاز الإرسال. مضت نصف ساعة، كان الطريق يمتدُّ بمحاذاة الشاطئ ... نظر إلى الشاب وقال: هل لا يزال الطريق طويلًا؟

نظر له الشاب، وأجاب: لا، ليس كثيرًا. ألقى نظرةً على البحر الهادئ في هذه اللحظة، ثم نظرَ مرةً أخرى إلى الشاب، وسأله: هل نتعارف؟

ردَّ الشاب في هدوء: لا أظن أننا نستطيع ذلك الآن، لكن ربما في المستقبل.

ابتسم «عثمان» ولم يُعلِّق بكلمة.

مضى وقت آخر ... ثم أخذت السيارة تُبطئ من سرعتها، وقال الشاب: ينبغي أن ... ثم قدَّم له قناعًا. نظر له «عثمان»، وسأل: هل يجب أن أضعه فوق وجهي؟

ردَّ «الشاب»: نعم ... وهذه تعليمات السيد «توب».

أخذ «عثمان» القناع ووضعه فوق وجهه، فلم يرَ شيئًا، فهِمَ أنه اقترب من مكان «توب»، وأنه لا ينبغي أن يعرف الطريق. ولذلك، فقد ركَّز إحساسه جيدًا حتى يتمكن من تحديد المكان. شَعَرَ بعد قليل أنَّ السيارة قد انحرفت وغيَّرت طريقها. بعد قليل، شعر أنَّ السيارة تعود إلى نفس الاتجاه الذي جاءوا منه. مرةً أخرى، شَعَرَ أنها انحرفت مرةً أخرى، وشَعَرَ بهواءِ البحر. عَرَفَ أنَّ السيارةَ قد انحرفت، كانت قد ابتعدت عن الشاطئ. لكنَّها عادت إليه مرة أخرى. فجأة توقَّفت السيارة، وقال الشاب: هيَّا، سوف ننزل الآن.

سمع صوت الباب يُفتح، فنزل ... أمسك الشابُّ بيده، ثم قاده. شَعَرَ أنَّه ينزل طريقًا منحدرًا، وأنَّ صوت الموج قد أخذ يختفي، وأنَّ الهواء أصبح ثقيلًا. وتردَّد في نفسه سؤال: تُرى إلى أين؟

مع رئيس العصابة وجهًا لوجه

كان انحدار الطريق يُمثِّل لـ «عثمان» علامةً بارزة، فهو يعني أنه قد دخل مغارةً مثلًا، بجوار أنَّ ثقلَ تنفُّسه كان يؤكد أنه ليس فوق سطح الأرض. بعد دقائق قال الشاب: الآن، تستطيع أن ترفع القناع.

بسرعة رفع «عثمان» قناعه، فلم يشعر بفارق كبير. كان الضوء خافتًا تمامًا، وكان ما توقَّعه صحيحًا ... إنه يمشي في ممر منحوت في الصخر، والممر ينحدر. فكَّر أن ينظر خلفه، لكنَّه لم يفعل ... ففي الخلف، يوجد مدخل الممر، وحيث يمكن أن يظهر ضوء النهار. فكَّر أن يسأل الشاب إنْ كانا سيمشيان طويلًا، لكنَّه تردَّد مرةً أخرى ولم يسأل.

فجأة دوى صوت طلقات رصاص، فأسرع يلتصق بالجدار. في نفس الوقت الذي انبطح فيه الشاب على الأرض. غير أنه في لحظةٍ سريعةٍ لمح شبح ابتسامة، اختفت بسرعة على وجه الشاب. ولما لم يكن للطلقات أيُّ أثر، فقد أدرك أنه نوع جيد من الاختبارات، وأنَّ الشابَّ كان يعرف مقدمًا، وأنه انبطح على الأرض كحركةٍ تمثيليةٍ حتى يأخذ الاختبار شكله الصحيح؛ ولذلك أسرع يبتعد عن الجدار ليواصل المشي، حتى قبل أن يقوم الشاب، وحتى يثبت لـ «توب» أنه أذكى من أن ينخدع.

أسرع الشابُّ إليه، لكن مرة أخرى دوى صوت طلقات جديدة، وكانت حقيقيةً هذه المرة، فأسرع ينبطح على الأرض، وفعل الشاب نفس الشيء، كانت الطلقات ترتطم بالأرض، أو تصطدم بالجدران.

قال في نفسه: إنَّ هذه الاختبارات تدخل مرحلةً حاسمةً. فجأة بدأ يشعر بالبرودة، وبأنَّ الأرض قد ابتلت بالماء ... أخفى ابتسامته، فقد عرف أن الاختبارات مستمرة، وأنه عندما يصل إلى «توب» يكون قد انتهى منها، فإمَّا أن ينجح فيها، وإما ينتهي إلى الأبد ...

فدخوله إلى هذا المكان ليس سهلًا ... فمن يدخل ... إما أن يكون من أهل المكان، وإما تكون نهايته.

وقف بسرعة ... فتردَّد صوت الطلقات من جديد، واصطدمت بعض القذائف بالجدار القريب منه، واصطدمت الأخرى بالأرض تحت أقدامه. لكنَّه كان شجاعًا بما يكفي، لأنه كان يفهم أنهم لم يصيبوه مهما كانت الأمور. إنها الاختبارات فقط. انبطح من جديد. في نفس الوقت، كانت المياه تزداد في أرضية النفق. خطر على ذهنه ألَّا تكون هذه عملية تعذيب مقصودة، وأنه في الطريق للنهاية.

فكَّر لحظة: قد تكون هذه حقيقة ... فماذا يفعل الآن؟ إنه لا يستطيع أن يهرب. صحيح أنه يستطيع أن يقضيَ على الشاب. لكن، وماذا بعد ذلك؟

توقَّف صوت الطلقات، فقفز بسرعة، لكنَّه لم يكد يعتدل حتى كان الشابُّ قد قفز في الهواء، مما جعل «عثمان» ينظر له في دهشة، إلَّا أنَّ قفزة الشاب لم تكن إلَّا لضربه. وكانت هذه مسألة سهلة، فقد تعلَّق بشدَّة في قدم الشاب، وهو يُثبت قدميه في الأرض، فأصبح الشابُّ كالمروحة في يده. دار به دورة، ثم أفلته من يديه، فاندفع الشابُّ بكل جسمه إلى الحائط فاصطدم به، ثم وقع على الأرض بلا حَراك.

في نفس اللحظة، تردَّدت ضحكةٌ قوية في فضاء الممر، ثم جاء صوت يقول: إنك من نبحث عنه يا سيد «لو»!

حاول «عثمان» أن يعرف صوتَ مَن هذا، لكنَّه لم يستطع. فكر بسرعة: هل يكون هذا هو الزعيم، و«توب» ليس سوى أحد الرجال؟!

أخذ الضوء يزداد، ثم فجأة فُتح باب في الجدار، وقال صوت: ادخل هنا!

توقَّف لحظة، ثم دخل، كان «توب» يجلس في مقعد كبير، ويبدو كالنائم. قال «توب»: أعتذر لأنني غيَّرتُ المكان لدعوتك على الغداء.

هزَّ «عثمان» رأسه دون أن يقول شيئًا. وقف «توب» وهو يقول: إنك سعيد الحظ؛ فالزعيم طلب أن يراك، وأن تتناول الغداء معه!

سكت لحظة، ثم أضاف: هل لك في كوب عصير؟

ابتسم «عثمان» وقال: أكون سعيدًا لو حدث!

قال «توب»: إذن، اجلس هنا!

أشار «توب» إلى أحد المقاعد، لكن «عثمان» لم يذهب إليه مباشرةً، فقد فكَّر لحظةً، ثمَّ نظَرَ إلى «توب» الذي ابتسم وقال: هل تشكُّ في شيء؟

قال «عثمان» بهدوء: أعتقد أنَّ الحذر مطلوب.

ضحك «توب» وقال: إنك ذكي بما يكفي.

وقف «توب» وأضاف: هيَّا بنا؛ فقد حان وقت الغداء!

اقترب «توب» من أحد الأبواب فانفتح، دخل، فدخل «عثمان» خلفه، كانت هناك صالة فسيحة، وقف «توب» أمام الجدار، فانفتح وظهر مصعد صغير، فتقدَّم «توب» ثم سار «عثمان»، وعندما توقَّف انفتح الباب، فخرجا … سارا قليلًا، ثم تجاوزا بابًا آخر، وفجأة ظهر البحر من جديد. كان المنظر رائعًا، وعدد من اليخوت الصغيرة يقف بجوار يخت كبير. كانت اليخوت كلها بيضاء، وعند الشاطئ توجد مظلة بيضاء، وتحتها عدد من المقاعد.

قال «توب»: ما رأيك، أليس المكان رائعًا؟

ضحك ضحكة سريعة، ثم أضاف: أعتقد أنه يستحقُّ هذه الاختبارات المتوالية.

ثم أكمل ضحكته بضحكة أعمق … وقال: هيَّا، ولن تنتظر طويلًا!

تقدَّم «عثمان» و«توب» فجلسا. وفي لحظة تقدَّم أحدُ الرجال بصينية صغيرة، فوقها كوبان من العصير، أخذ «توب» كوبًا، وأخذ «عثمان» الآخر، لكنَّه لم يشرب مباشرة. كان قد اقتنع أنه في حالة اختبار دائمة، ومن يدري، فقد يكون هذا العصير اختبارًا جديدًا.

أدرك «توب» ما يُفكِّر فيه «عثمان»، فرفع الكوب إلى فمه حتى النهاية، ثم قال مبتسمًا: إنه ليس ضارًّا إلى هذه الدرجة.

ثم ضحك ضحكةً من أعماقه. أخذ «عثمان» يشرب العصير في هدوء، بينما كان «توب» ينظر إلى البحر متأملًا هذه اليخوت الجميلة. لحظة، ثم تحرَّكت يد «توب» إلى جيبه، ثم وقف مباشرة وقال: هيَّا بنا.

أدرك «عثمان» أن «توب» قد تلقَّى إشارة بالتحرُّك … قال في نفسه: يبدو أنني أمام عصابة من نوعٍ جديدٍ فِعْلًا.

اقتربا من الشاطئ أكثر، بينما كان أحد اليخوت الصغيرة يقترب في سرعة غريبة. ثم دار دورة واسعة أمام الشاطئ، واقترب بسرعة حتى وقف أمامهما تمامًا. قفز السائق الذي كان في اليخت وحده، ثم مدَّ سقالة ليمرَّا عليها. وعندما أصبحا في اليخت، انطلق بنفس السرعة الرهيبة في اتجاه اليخت الكبير. وفي دقيقتين كان يقف بجواره. نزل سُلَّم من الحبال إلى اليخت الصغير، فصعد «توب» وخلفه صعد «عثمان».

ما إنْ وصل إلى سطح اليخت حتى وقف مذهولًا. كان اليخت رائع الجمال. لمح «توب» دهشةَ «عثمان» فقال: سوف تستمتع كثيرًا!

ابتسم «عثمان» وتبع «توب» الذي كان قد تقدَّم إلى مؤخرة اليخت. وهناك كانت مظلة كبيرة تظلل المؤخرة كلها. وفي الوسط منضدة كبيرة مستديرة حولها بعض المقاعد ... وكأنها أعدت لاجتماع.

كانت هناك موسيقى هادئة تنساب، فتعطي المنظر كلَّه نوعًا من الحلم. لا يذكر «عثمان» أنه رأى عالمًا جميلًا مثل هذا العالم. وعندما أشار له «توب» ليجلس، كان يفكر: كيف يعيش أناس أشرار في هذا العالم الجميل؟ وكيف لا يؤثر هذا العالم بجماله في نفوسهم؟ ...

استغرق في أفكاره، لكن «توب» قطعها وهو يقول: أستأذنك لحظة!

ثم انصرف. تبعه «عثمان» بعينيه حتى نزل درجات سُلَّم تُوصل إلى عمق اليخت ... قال «عثمان» لنفسه: إنَّ الحذر هنا ضروري تمامًا، فلا بُدَّ أنهم يرصدون كلَّ شيء.

لحظة، ثم اقترب منه صبيٌّ متوسِّطُ العمر ... ابتسم ابتسامة هادئة وهو يقول: هل تأمر بشيء؟

نظر له «عثمان»، ثم ابتسم هو الآخر قائلًا: ماذا يمكن أن تُقدِّم لي؟

كان يريد أن يتعرَّف على الأشخاص هنا، من خلال حوار فيما يقدمونه، ودون أن يدُسَّ أنفَه فيما لا يعنيه. وإنْ كان كلُّ شيء يعنيه هنا، قال الصبي: أي شيء ... هل تأخذ قهوة تركية، أو فرنسية، أو تأخذ كوبًا من الشاي؟

رفع «عثمان» حاجبيه، علامة الرضا، ثم قال: أُفضِّل أن أحتسيَ فنجانًا من القهوة التركية!

انحنى الصبي في أدب، ثم انصرف. قال «عثمان» في نفسه: ماذا ينبغي حتى يكون كلُّ شيء هنا طيِّبًا؟

فجأة وقعت عيناه على فتاة جميلة تخرج من قلب اليخت. كانت أنيقة في بساطة، وترسم على وجهها ابتسامة رقيقة. اقتربت من «عثمان»، فوقف ... قالت: مرحبًا بك هنا!

ابتسم «عثمان» وشكرها، جلست فجلس. قالت الفتاة: اسمك «لو»؟

رد «عثمان»: نعم.

قالت: اسمي «بلانش».

جاء الصبي بالقهوة، ووضعها أمام «عثمان»، ثم انصرف ... سألت «بلانش» في دهشة: هل تشرب القهوة التركية؟

ابتسم «عثمان» قائلًا: ليس دائمًا.

قالت «بلانش»: أتمنى أن أزور أفريقيا؛ فهي بلاد لها سحر خاص!

قال «عثمان»: سوف تستمتعين تمامًا، لو حدث وزرتِ أحد البلاد الأفريقية.

قالت «بلانش»: هل زرت مصر؟

أجاب «عثمان»: نعم، لكنَّها كانت زيارة سريعة.

ابتسمت «بلانش» وهي تقول: إنك سعيد الحظ، فأكثر ما أتمنى أن أزور آثارها. إنَّهم يقولون إنها جميلة تمامًا. ولقد حدَّثني أبي عنها.

سأل «عثمان»: هل زارها؟

أجابت «بلانش»: نعم ... كان في رحلة عمل، وقضى هناك عدة أيام.

فكَّر «عثمان»: هل تكون «بلانش» ابنة الرأس الكبير؟ وما هي طبيعة عمل هذا الرجل الذي تبدو ابنته على هذا القدر من الرقة والذوق؟

فجأة، ظهر رجل في حدود الخمسين من العمر. كان يبدو أنيقًا جدًّا، واثقًا، وهو يصعد السُّلَّم، وخلفه ظهر «توب». عرف «عثمان» أنَّ الرجل لا بُدَّ أن يكون هو الرئيس.

ابتسمت «بلانش» وهي تقول: بابا.

وقف «عثمان» بسرعة. كان الرجل يُغطِّي وجهه بابتسامة هادئة، وعندما اقترب من «عثمان» قال: أهلًا يا «لو»!

ردَّ «عثمان»: أهلًا يا سيدي!

أضاف الرجل وهو يتفحَّص «عثمان»: حدَّثَني عنك «توب» كثيرًا، وأرجو أن يكون ما قاله صحيحًا!

ابتسم «عثمان» وقال: أرجو ذلك يا سيدي!

نظر الرجل إلى «توب» ثم قال: دعهم يُجهِّزون لنا الغداء، حتى أقوم أنا و«لو» بجولة.

تقدَّم الرجل من حافة اليخت، حيث كان يوجد يخت صغير، ثم أخذ ينزل سُلَّمًا ممتدًّا إليه ... أسرع «عثمان» وتبعه. وعندما استقرَّا في اليخت الصغير انطلق بسرعة، ولم يكن فيه غيرهما. وعندما ابتعدا تمامًا نظر الرجل إلى «عثمان» وقال: ماذا تريد أن تعمل يا «لو»؟

قال «عثمان» بسرعة: أي عمل يا سيدي.

ابتسم الرجل ابتسامةً خفيفةً وهو يقول: إذن، استمع جيدًا لما سوف أقوله لك!

وعندما نظر إلى الماء، كان «عثمان» قد ركَّز تفكيره ليسمع كلام رئيس العصابة.

الاختيار النهائي لـ«عثمان»

قال الزعيم: أنت الآن بلا اختيار. فما دمتَ قد دخلتَ عالمنا فقد أصبحت واحدًا منا. فإذا رفضتَ الانضمامَ إلينا فقد رفضت حياتك نفسها!

كانت الكلمات واضحة تمامًا، وكان «عثمان» يركِّز انتباهه مع كل كلمة. نظر له الزعيم وقال: هل تفهمني جيدًا؟

ردَّ «عثمان» بسرعة: نعم يا سيدي!

كان الزعيم يقود اليخت في سرعة كبيرة. وكان يصنع به دوائر واسعة، وكأنه يرسم خطة ما. قال بعد لحظة: «توب» يقول إنك ماهر تمامًا، وذكي أيضًا. وأنا في حاجة لرجل من هذا النوع.

سكت لحظة، ثم نظر إلى «عثمان» وسأل: هل تُجيد الرماية؟

فكَّر «عثمان» بسرعة، ثم قال: ليس تمامًا يا سيدي!

ابتسم الزعيم وقال: لا بأس، سوف تنال دروسًا في الرماية حتى تكون بطلًا فيها. فالمهمة التي سوف أسندها إليك والتي تعتبر الاختبار النهائي، تحتاج لبطل في الرماية.

صمت مرة أخرى. ووجَّه اليخت إلى عمق البحر، ثم انطلق في سرعة غير عادية. كان رذاذ الماء يتطاير على وجه «عثمان» فيتذوَّق ملوحة البحر.

قال الزعيم وهو يضحك: إنني مجنون بالسرعة، ولا أحتمل البطء!

نظر لـ «عثمان»، وقال: ما رأيك؟

ردَّ «عثمان» بثقة: أعتقد أنَّ كل حالة لها حاجتها من الوقت!

نظر له الزعيم لحظة، ثم انفجر في الضحك طويلًا، وأخيرًا قال: أنت رائع يا «لو». أنت حكيم أيضًا!

ظلَّ اليخت مندفعًا بقوته الصاروخية إلى مسافة بعيدة. ثم فجأة، دار الزعيم دورة واسعة بنفس السرعة. كان «عثمان» يراقب وجهه الذي امتلأ بسعادة غريبة. مرة أخرى، أخذ طريق العودة. لكنَّه أبطأ سرعة اليخت إلى أدنى درجة. ثم نظر إلى «عثمان» وقال: رحلة طيبة!

ابتسم «عثمان» وقال: نعم يا سيدي!

استغرق الزعيم في النظر إلى الأمام دون أن ينظر إلى «عثمان» مرة. كان «عثمان» يفكر: هل هي عصابة «اليد الحديدية»؟ وهل هذا هو الزعيم؟ أم إنَّ الأمور ليست في اتجاهها الصحيح؟!

أجاب بينه وبين نفسه بعد لحظة: حتى لو كانت في اتجاه غير صحيح، فإنَّنا قد اكتشفنا شيئًا جديدًا!

أوقف الزعيم اليخت، وتركه للأمواج الهادئة، ثم اعتدل في جلسته ونظر إلى «عثمان» قائلًا: لن أخبرك بالمهمَّة إلَّا بعد أن تنتهيَ من إجادةِ الرماية.

سكت لحظة، ثم أضاف: سوف تنتقل من فندق «الشاطئ» إلى شقة خاصة بك.

قال «عثمان» بعد لحظة: كما ترى يا سيدي.

ابتسم الرجل ثم قال: إنني أثق بأنك سوف تكون أقرب أعوانى. فقط، ينبغي أن تكون أكثر سرعةً في إجادة الرماية؛ لأن المهمَّة لا تستطيع أن تنتظر طويلًا.

قال «عثمان»: سوف أحاول يا سيدي!

فجأة، أدار الرجل الموتور «اليخت»، ثم انطلق بنفس سرعته الصاروخية، وهو يقول: لعلك تشعر بالجوع الآن!

هزَّ «عثمان» رأسه، بمعنى نعم. واستغرق في الرحلة الغريبة مع الرجل الغريب. وعندما اقترب اليخت من مكانه، أوقف الرجل الموتور، وترك اليخت مستمرًّا بقوة اندفاعه، حتى وقف بجوار اليخت الكبير. وفي رشاقة كان الزعيم يصعد السُّلَّم إلى ظهر اليخت، فتبعه «عثمان». وعندما وصل إلى السطح، كانت هناك مائدة فاخرة احتلَّت المنضدة المستديرة. وفي جانب من السطح، كان يقف «توب» و«بلانش». جلس الجميع إلى الغداء، ولم يكن أحد منهم ينطق بكلمة. لم يأكل الزعيم كثيرًا، ثم انصرف، فأسرع «توب» خلفه، وبقي «عثمان» و«بلانش».

سألت «بلانش»: لعلك استمتعتَ بالرحلة مع والدي!

ابتسم «عثمان» قائلًا: تمامًا ... بجوار أنه شخصية رائعة!

قالت: أنت لم تعرفه جيدًا بعد. وعندما تقترب منه أكثر سوف تحبُّه جدًّا.

قال «عثمان»: إنني متأكِّد من ذلك!

كان يأكل في هدوء، وكانت «بلانش» أيضًا، ومع مضغه للقمة كان يفكِّر كيف يستطيع أن يعرف اسم هذا الرجل. فكَّر أن يسألها، لكنَّه تردَّد. قال في نفسه: ربما يكون له اسم آخر داخل العصابة، ومن الممكن أن يعرف من خلال «توب»!

في نفس اللحظة ظهر «توب»، كانت تعلو وجهَه ابتسامةٌ عريضة. اقترب في هدوء، ثم جلس وبدأ يأكل، لكنَّه فجأة توقَّف ونظر إلى «عثمان» قائلًا: الزعيم مُعجَبٌ بك تمامًا يا عزيزي «لو»!

ابتسم «عثمان» وقال: إنَّ ذلك يسعدني تمامًا!

قال «توب»: متى تحضر حاجياتك من الفندق؟

وقبل أن يُجيب «عثمان» أضاف «توب»: أو تحب أن نرسل من يُحضرُها؟

قال «عثمان» في هدوء حتى لا يلفت النظر: أفضِّل أن أحضرها بنفسي. فهناك أشياء لا يستطيع أن يجمعها غيري.

«توب»: إذن، سوف تصحبك سيارة إلى هناك بعد الغداء!

عندما انتهوا من الغداء، صحب «توب» «عثمان» إلى حيث تقف سيارة أخرى. ولم ينسَ «عثمان» أن يودِّع «بلانش»، فهو يعرف أن «بلانش» يمكن أن تكون طريقًا آخر إلى قلب الزعيم …

عند باب السيارة، قال «توب»: «ميرو» سوف يصحبك إلى مكان إقامتك الجديد.

عرف «عثمان» أنَّ «ميرو» هو نفسه سائق السيارة؛ ولذلك عندما أغلق «عثمان» الباب انطلقت السيارة في سرعة. ألقى نظرةً سريعةً على «ميرو». كان في مثل عمره تقريبًا، هادئ الملامح، يبدو الذكاء في جبهته العريضة، وتبدو عيناه حادَّتَين تمامًا.

قال «عثمان» مبتسمًا: أنت تُجيد القيادة يا عزيزي «ميرو».

ولم يفعل «ميرو» شيئًا سوى أن ابتسم نصف ابتسامة.

سأل «عثمان»: هل تقود السيارة منذ زمن؟

أجاب «ميرو» إجابة قصيرة: ليس كثيرًا.

كان «عثمان» يحاول أن يفتح طريقًا للحديث معه. فمن يدري، قد يكون «ميرو» سبيلًا آخر للعصابة؛ ولذلك قال: اسمي «لو»، من جنوب أفريقيا.

ابتسم «ميرو» وقال: أهلًا بك، عرفت طبعًا اسمي!

أجاب «عثمان»: نعم، ويسعدني أن نكون أصدقاء!

أجاب «ميرو»: أعتقد ذلك.

ثم نظر نظرة سريعة إلى «عثمان» وقال: لكن ذلك يحتاج لبعض الوقت.

ضحك «عثمان» بصوت مرتفع، بينما كان «ميرو» ينحرف بالسيارة انحرافًا حادًّا جعل ضحكة «عثمان» ترتفع أكثر، حتى إنَّ «ميرو» قال: يبدو أنك من هواة القيادة أيضًا.

قال «عثمان» بسرعة، فقد عرف أنه استطاع أن يفتح الباب لعَلاقة بينهما: نعم ... وأجيدها تمامًا!

ثم أضاف بسرعة: إذا كانت هناك خطة ما وذهبنا في مهمَّة إلى بلادي، فسوف ترى أشياء تعجبك. نظر له «ميرو» وقال: لقد قرأت عن بلادك. وأتمنَّى فعلًا أن أزورها.

قال «عثمان»: إنَّ المسافات عندنا طويلة تمامًا؛ ولذلك فالقيادة السريعة هي الحل الوحيد.

ابتسم «ميرو» ابتسامة واسعة لأول مرة وقال: طرق بلا عقبات. لا إشارات مرور، ولا رجال مرور. قال «عثمان» مبتسمًا: أرجو ألَّا تكون فكرتك عن بلادنا سيئة. فنحن بلد متقدم. قد تكون الحياة صعبة بعض الشيء، لكننا نعيش حياة عصرية تمامًا.

لم يكن «عثمان» يرقب الطريق، كان يهمُّه في هذه اللحظة أن يؤكِّدَ عَلاقةً بينه وبين «ميرو»؛ ولذلك فجأة بدأت ملامح مدينة «أنكونا» تظهر.

قال «عثمان»: هل لديك تعليمات بانتظاري واصطحابي إلى المقر الجديد؟

ردَّ «ميرو»: نعم. وهناك تعليمات أخرى، سوف تعرفها بعد أن تستقرَّ في مكانك الجديد. ضحك «عثمان» وقال: إذن، فسوف تكون المسئول عني.

ابتسم «ميرو» وقال: السيد «توب» هو المسئول، وأنا أنفِّذ أوامره فقط.

قال «عثمان»: إذن، فسوف نكون معًا دائمًا.

فجأة، ضحك «ميرو» وهو يقول: لا أظن، فقد لا تراني مرةً أخرى بعد اليوم!

أخفى «عثمان» دهشته، وقال مبتسمًا: سوف أكون حزينًا إذا حدث ذلك، إنني لا أعرف أحدًا هنا، وكان يسعدني أن نصبح أصدقاء، وأن نقضيَ أوقاتنا معًا.

مرة أخرى ضحك «ميرو»، ثم قال: لن تجد وقتًا.

انتظر لحظة، ثم أضاف: من يدري، قد نلتقي مرة أخرى في «باريس» أو «بومباي» أو «القاهرة»!

أبدى «عثمان» دهشةً مصطنعةً، وهو يقول: إلى هذه الدرجة؟

ابتسم «ميرو» وقال: أكثر!

كانت السيارة قد وصلت إلى فندق «الشاطئ»، فقال «ميرو»: أرجو ألَّا تتأخر كثيرًا!

ابتسم «عثمان» قائلًا: سوف أكون أمامك حالًا.

أسرع «عثمان» إلى الفندق، وعندما دخل كان «براتي» يقف في الصالة مبتسمًا. ألقى «عثمان» التحية، وانصرف إلى غرفته بسرعة. وعندما أغلق بابها، أسرع إلى جهاز الإرسال، وأرسل رسالة إلى رقم «صفر»، شرح له فيها كلَّ ما حدث. ولم تمضِ دقيقة، حتى كان ردُّ الرسالة الشفرية هو: «٢–١٨–٤–٥٠–١٤» انتهى ...»

وعندما قرأ «عثمان» الرسالة ابتسم وهو يهمس لنفسه: إذن إلى الأمام!

وهذه هي المهمة

كانت رسالة رقم «صفر» الشفرية مشجِّعةً تمامًا، حتى إنَّ «عثمان» حمَلَ حقيبته الصغيرة، وغادر الغرفة، وهو يصفر لحنًا رقيقًا. وعندما رأى «براتي» مرة أخرى في صالة الفندق اقترب منه وهو يقول: يُؤسفني أيها السيد «براتي» أن أغادر فندقك بهذه السرعة، فلم أكن أتصوَّر أنَّني سوف أغادره إلَّا بعد فترة طويلة!

ظهر الأسف على وجه «براتي» وهو يقول: إنني حزين لذلك، وكنت أتمنَّى أيها البطل «لو» أن تكون معي لفترة أطول!

قال «عثمان»: وأنا أيضًا كنت أتمنَّى ذلك، لكنَّها الظروف؛ فقد وجدتُ عملًا أتمنَّى أن أوفَّق فيه!

سأل «براتي»: هل هو قريب؟

ردَّ «عثمان»: ربما، لكن سوف آتي لزيارتك، وثِقْ أنني سوف أقضي كلَّ إجازاتي هنا في فندق «الشاطئ»، وقد يكون معي أصدقاء سوف تحبهم عندما تراهم.

قال «براتي»: ثق أنني سوف أنتظر زيارتك دائمًا، وسوف أظلُّ على شوقٍ لأنْ تقضيَ إجازتك هنا، أنت والأصدقاء.

ودَّع «عثمان» العجوز «براتي»، وكان يشعر بالحزن فعلًا لمغادرته فندق «الشاطئ»، فقد قضى فيه أجمل أيام، بجوار أنَّ العجوز «براتي» رجل طيب ... غادر «عثمان» الفندق إلى حيث كان «ميرو» في انتظاره، وعندما جلس في السيارة، وأغلق الباب، قال: إنني آسف أيها الصديق «ميرو» فقد تأخرت!

ابتسم «ميرو» وهو يقول: لعلَّك كنت تودِّع العجوز «براتي»!

صمت لحظة، ثم أضاف: إنه أحد رجالنا الطيِّبين.

أخفى «عثمان» دهشته، فلم يكن يظنُّ أبدًا أنَّ «براتي» العجوز يمكن أن يكون من تابعي العصابة.

قال في هدوء: هل الفندق تابع للزعيم؟

مرَّت لحظة قبل أن يقول «ميرو»، وكان قد انطلق بالسيارة: إنَّ السيد «كريليوني» يعرف دائمًا ما يجب عمله!

مرة أخرى أخفى «عثمان» دهشته التي يمكن أن تكشفه. لقد عرف اسم زعيم العصابة؛ إنه السيد «كريليوني». ابتسم قائلًا: إنه فعلًا رجل حكيم.

ابتسم «ميرو» وقال: سوف تعرفه أكثر عندما تتعامل معه، إنَّه رقيقٌ كالنسمة، حادٌّ كسكين لامع. نظر «عثمان» إلى الطريق من نافذة السيارة، لكنَّه لم يكنْ يرصد الطريق. كان يُخفي وجهه عن «ميرو» حتى لا تكشفه تعبيراتُه. ولم ينطق «ميرو» بكلمة، فقد ظلَّ صامتًا. في نفس الوقت، كان «عثمان» يردِّد في ذهنه اسم «كريليوني» الزعيم.

وقال في نفسه: إنَّ خطواتي الآن في طريقها الصحيح، وأرجو أن تستمرَّ كذلك!

فجأة كان «ميرو» يقول: استعد؛ فسوف نغادر السيارة حالًا.

نظر له «عثمان» في دهشة، وسأل: لماذا؟

ابتسم «ميرو» وقال: تعليمات!

سأل «عثمان»: متى جاءت هذه التعليمات؟

أجاب «ميرو»: لقد قلتُ لك ونحن في الطريق إلى الفندق إنَّ هناك أشياءَ سوف تعرفها.

ردَّ «عثمان»: هذا صحيح.

أوقف «ميرو» السيارة، ثم ابتسم قائلًا: سوف يأتيك من يقول لك اسم «روكي» فاركب معه السيارة.

فكَّر «عثمان» بسرعة، ثم قال مبتسمًا وهو يغادر السيارة: أرجو أن ألقاك فيما بعد!

ابتسم «ميرو» وقال: وأنا أيضًا.

ثم انطلق بالسيارة. ظلَّ «عثمان» يراقبه حتى اختفى. وقف «عثمان» يرقب الشارع الذي أخذ يزدحم. كان يفكر: ما هذه الحكاية؟ وهل يحتاج الأمر إلى كل هذه السرية؟ لكنَّه لم يستمرَّ في أفكاره. ففجأة، توقَّفت سيارة أمامه. وقال من فيها: «روكي»!

نظر له «عثمان» بسرعة، ثم فتح باب السيارة ودخل. عندما أغلق الباب جاءه صوت «توب» يقول: هل دُهشت؟

نظر «عثمان» خلفه، كان «توب» يجلس مبتسمًا، فردَّ «عثمان»: بعض الدهشة فقط!

كانت السيارة تقطع الطريق بسرعة، وهي تغادر مدينة «أنكونا». بدأ الطريق الصخري يظهر. انحرفت السيارة يمينًا، ثم استمرَّت. فجأة انحرفت يسارًا مرة أخرى. فكَّر «عثمان»: هل هذا هو الطريق الذي سلكه «ميرو» في المرة السابقة؟

فجأة، ظهر عدد من الرجال يقطعون الطريق أمام السيارة، فقال «توب» في فزع: من هؤلاء؟ ...

ألقى «عثمان» نظرة سريعة على وجه السائق، لكنَّه كان جامدًا. وقفت السيارة، فتقدَّم أحدهم، وأشار لهم بالنزول. نظر «عثمان» بسرعة إلى «توب» الذي قال في تردُّد: يجب أن نُنفِّذَ ما يطلبه!

قال «عثمان» لنفسه: هل هو اختبار جديد، أو أنَّها مجرَّد خدعة، أو أنَّها حقيقة؟

نزل في هدوء، ولم يكد يغلق الباب حتى كانت ضربة قوية قد أخذت طريقها إليه، جعلته يتراجع بسرعة. في نفس الوقت كان الرجل يتابعه، حتى لا يجد فرصة للتصرُّف، كانت عين «عثمان» ترقب ما يحدث لـ «توب» والسائق، حتى يعرف ماذا يمكن أن يفعل ...

كان «توب» مُلقًى على الأرض، في نفس الوقت كان السائق قد تكوَّم على نفسه بجوار السيارة. غير أنَّ «عثمان» كان يشكُّ فيما يحدث. مع ذلك أعطى نفسه فرصة، فقد أوقع نفسه على الأرض. وكأنَّ ذلك حدَثَ بتأثير قوة الضربة. كان الرجل يتابعه. فجأة، قفز «عثمان» في حركة سريعة، وكانت قدمه أسرع إلى الرجل، فضربه ضربةً عنيفةً جعلته يصرخ. ولم يتوقَّف «عثمان»، فقد سدَّدَ إليه عدة ضربات متتالية لا تعطيه فرصة للرد، أو التفكير. فجأة، رأى رجلين يقفزان ناحيته. فلم ينتظر، قفز قفزةً أعلى منهما ثم ضربهما ضربة مزدوجة أطاحت بهما معًا. فجأة، وقعت عيناه على وجه «توب»، كان مملوءًا بالدهشة. وبسرعة تأكَّد أنَّها كانت خدعة ... وأنَّه اختبار جديد. ولم يستطع أن يكتم ضحكته التي قابلها «توب» بضحكة وهو يقول: إنك يا عزيزي «لو» شخصية مُدهِشة!

نظر «عثمان» إلى الرجال الذين اشتبك معهم، وقال: إنَّني أعتذر!

وفي دقيقة واحدة كان يركب بجوار «توب»، فانطلقت السيارة كالصاروخ. ثم فجأة، انعزل المقعد الخلفي للسيارة، حيث يجلس مع «توب»، فقد ظهر زجاج أسود، فأصبح حاجزًا بينه وبين نصف السيارة الأمامي ونصفها الخلفي، وفجأة أيضًا نزلت ستائر سوداء على نافذتَي السيارة. فأصبح المكان مظلمًا. ثم أضيئت لمبة من جانب السيارة. ابتسم «توب» وقال: إنها سيارة خاصة حتى لا يراك أحد!

سأل «عثمان»: لماذا؟

قال «توب»: إنها أوامر السيد «كريليوني»!

لم يُعلِّق «عثمان»، لكنَّه أخذ يربط الكلمات التي قيلت له من «توب» ثم من «كريليوني»؛ أنها تُوصل إلى معنى واحد، لكنَّه لم يجعله المعنى الأخير، فقد أجَّل تأكيده إلى وقت آخر.

توقَّفت السيارة، فقال «توب»: هيَّا بنا!

نزل «عثمان» فوجد نفسه في مطار صغير، وكانت هناك طائرة صغيرة تقف في أقصى المطار. قال «توب»: سوف تنقُلك الطائرة إلى مكان جديد.

لم يُعلِّق «عثمان» بشيء، فقد أطاع مباشرة، واتجه إلى الطائرة. هناك، كان رجلان في انتظاره ركبا الطائرة التي أدارت محركاتها، ثم أخذت طريقها إلى الفضاء. لم ينطق أحد فيها بكلمة ... وحتى «عثمان» لم يتكلم. كان يرقب الأماكن التي يطيرون فوقها، كانت عبارة عن أماكن جبلية ... لا يظهر فيها سوى الجبال. مضت نصف ساعة، ثم ظهرت بقعة خضراء بين الجبال. اتجهت إليها الطائرة، وهي تأخذ مسار الهبوط، حتى نزلت في المكان. كانت النباتات تُغطِّي المنطقة كلها، وفي أقصى المكان منزل أنيق من دَوْرين. اقتربت السيارة من الطائرة، فنزل الرجلان ... وأمامهما كان ينزل «عثمان». استقبله رجل متوسط القامة ... ترتسم ابتسامة هادئة على وجهه.

قال لـ «عثمان»: أهلًا بك ... إنني «جوبال»، وأعرف أنك السيد «لو».

حيَّاه «عثمان»، وركب السيارة معه، حيث كان يقودها «جوبال» نفسه. وعندما توقَّفت عند المنزل، نزلا ... وقال جوبال: سوف تقضي هنا فترة التدريب!

سكت لحظة، ثم قال: منذ الصباح غدًا ... سوف يبدأ التدريب.

نام «عثمان» في هذه الليلة جيدًا. كان يشعر أن خطواته تسير في اتجاهها الصحيح. ولم يفكِّر في إرسال أيِّ رسالة إلى الشياطين، أو رقم «صفر»، لأنه يعرف جيدًا أنه مراقَب في كل لحظة.

في نفس الوقت كانت رسالة رقم «صفر» الأخيرة كافيةً ليستمرَّ في مهمته، وبعد أن تناول إفطاره جاءه «جوبال»، وصحبه إلى منطقة نائية في المكان، حيث بدأ التدريب على الرماية.

إنَّ «عثمان» يُجيد الرمايةَ تمامًا، مثله مثل بقية الشياطين، لكنَّه كان يتعمَّد عدم إصابة الهدف في كل مرة مع ذلك، قال له «جوبال» في نهاية فترة التدريب الأولى: لقد حقَّقت نتيجة طيِّبة وبسرعة!

أخفى «عثمان» ابتسامة، فهم لا يعرفون قدرة «عثمان» في الرماية، وبكل الأسلحة. قضى «عثمان» عدة أيام ... يمارس الرماية، صباحًا ومساءً وليلًا، حتى يكون مستعدًّا

لتنفيذ المهمَّة في أي وقت. وفي اليوم الخامس، حقَّقَ «عثمان» نتائج أذهلت «جوبال»، فقد استطاع أن يُصيبَ كلَّ الأهداف، الثابتة والمتحرِّكة. وفي نهاية اليوم، عندما عاد إلى المنزل، وجد «كريليوني»، ولم تكن مفاجأةً له، فقد كان يتوقَّع وجودَه في أيِّ لحظة وفي الليل.

وفي مكانٍ منعزلٍ تمامًا جلس «كريليونى» و«عثمان»، وقال «كريليونى»: الآن ... سوف تبدأ مهمتك. وعليها يتوقَّف انضمامك لنا إلى الأبد. توقَّف عن الكلام لحظة، ثم قال: إنَّ هناك شخصيَّةً هامَّةً نريد أن نتخلَّص منها.

ثم قدَّم له مسدسًا بلا صوت، وقال: وهذه هي الوسيلة!

وكانت مهمَّة أذهلت «عثمان» ...

هنـــداوي